

أمثلة من الترجمة

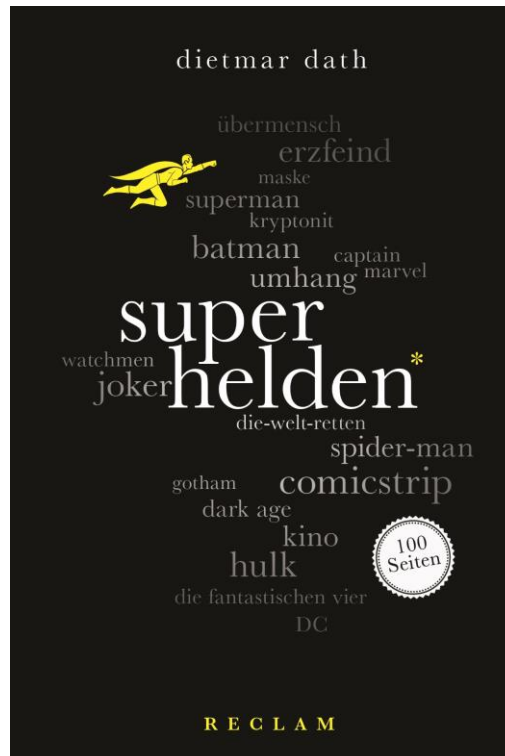
Dietmar Dath
Superhelden. 100 Seiten

Philipp Reclam jun. Verlag, Stuttgart 2016
ISBN 978-3-150-20420-7

صفحات 1-19

ديتمر دات
"أبطال خارقون. مئة صفحة"

ترجمة نرمين الشرقاوي



المحتويات

- 1: تصدير: مدرسة الإنسان الخارق
12: الجزء الأول: كيف صاروا إلى ما هم عليه
53: الجزء الثاني: من هم وما هي قدراتهم
91: في الختام: ماذا يمثلون وإلام يطمحون

في الملحق: ترشيحات للقراءة

تصدير

مدرسة الإنسان الخارق

يسعد علم النفس المطبخي¹ بالادعاء أن الكبار حين يهتمون أو (يستمر اهتمامهم) بالشخصيات المخترعة التي غدت عوالمهم المتخيلة حين كانوا لا يزالون أطفالا ثم يافعين بعد أن مرت مرحلة المراهقة بنجاح نوعي، أن السحر المائل في دوام الاهتمام هذا مرده إلى أن هذه الشخصيات لا تتقدم في العمر. وأنها تظل وفيه لذاتها، سواء ظلت على الورق أو تحولت إلى وسائط أخرى. وأنها تحفظ طاقة طفولتنا، وقدرتنا على البهجة، وسذاجتنا وكأنها أقرص صلبة خارجية خزنت ما هام به القلب. كما أنها تحفظ قدرتنا على الدهشة، والطموح الذي دفعنا نحو إدراكنا الأول للعالم بوصفه عالم متبدل، كما حفظت أيضا آمالنا التي تنوعت أشكالها.

تبدو هذه الصورة النمطية صائبة.

لكنها عندي غير صحيحة.

فأبطال طفولتي لم يبقوا في مرحلة الشباب. كما أن الحياة لم ترحمهم: لقد أحيل "باتمان" أكثر من مرة إلى التقاعد، بل وتعرض للموت، وللإصابة بالشلل النصفي في بعض الأحيان. ولقد تزوج سوبرمان، وسبايدرمان كذلك. ولقد صار من الصعب التعرف على "رجال- إكس"، أما "الفانوس الأخضر" فقد ارتكب جرائم فادحة في ظل معاناته من التشوش العقلي والأخلاقي، ولقد عرف "المنتقمون" رؤساء أكثر من رؤساء الحزب الشيوعي السوفيتي (الذي لم يعد موجودا على العكس من المنتقمين).

¹ مصطلح ألماني يعبر عن الاستخدام الشائع أو اليومي لمصطلحات من علم النفس بعيدا عن أساسها العلمي، مثل أن نقول فلان مكتئب، أو يعاني من الشيزوفرنيا دون أن يكون هذا بالضرورة تشخيص طبي لحالته النفسية فعلا. (المترجمة)

إن كل هذا موثق، في المجلات المصورة (الكوميكس)، والكتب، والأفلام وعبر وسائط حفظ البيانات المتعددة - فالوسائط التي استحدثت لتخزين كل شئ اختلفت وتعددت أشكالها عبر الزمن.

لقد تعرضت إذن البطلات الخارقات والأبطال الخارقون منذ سبعينات القرن العشرين إلى تغييرات حادة، وهزائم منكرة، أسوأ كثيرا من كل ما شهدته في حياتي كرجل ناضج. لقد كنت أحتاج إلى هذه الشخصيات وأنا طفل، وصرت أحبهم وأنا يافع، ثم نسيتهم لبعض الوقت. وإذا ما أردت أن ألتقي بهم اليوم مجددا أستطيع أن أختار أي مرحلة من مراحل حياتهم أفضل أن ألتقيهم فيها: إذ أن مكتبتي من المجلات المصورة (الكوميكس) تفتح أبوابا لأسعد أوقاتهم ولأكثرها تعاسة. وحين لا يكفي هذا أستطيع الذهاب إلى السينما، أو تشغيل التلفزيون، أو البحث في الإنترنت، أو وضع أي حامل بيانات في أي نوع من أنواع المُشغلات. إن سير حياة هؤلاء الناس الذين لم يوجدوا أبدا قد تحولت إلى قوائم أتخير منها: فلقد تعرفت عليهم كأطفال يتسمون بالجسارة، ويافعين متقلبي المزاج، وبالغين شيمتهم التناقض، ومخضرمين بوسائل.

بل إن "المستئذنب فولفرين" الذي يعرفه تراث الكوميكس بكونه يتقدم في العمر بمعدل أبطأ كثيرا من الكائنات الأخرى، واستطاع أن يحفظ نفسه في الحرب العالمية الثانية، وسيتلذذ في المستقبل بتدخين سجائره الشنيعة، وستمنحه السينما وجه هيو جاكمان، قد قابلته في مرحلة الشيخوخة، بل وحتى في تنويعات مختلفة من أيام مستقبل الماضي (المستقبل هو الماضي، 1981) لكريس كليرمونت إلى العجوز لوجان (2008) لمارك ميللر.

ورغم كل ذلك فأنا لم أنس كيف كانت البداية. كنا في ملعب الأطفال نعتبر أن الخارقات والخارقون حقا لا يتغيرون، لا يموتون، لا يتحللون- ونحن معهم ومثلهم، لأن واحدا من أشكال الحب الأول لتلك الشخصيات هو التماهي. كنا نعرفهم هم أكثر مما نعرف بعضنا، وهذا يعني: أننا كنا نقسم معهم الأسرار، على سبيل المثال "الهويات السرية" الشهيرة، وحقيقة الحياة المزدوجة التي عاشتها كثير من تلك الشخصيات- فالطبيب دونالد بليك الذي يعاني من إعاقة في المشي هو في الحقيقة إله الرعد النرويجي "تور"، والصحفي المنغلق كلارك كينت هو في الحقيقة سوبرمان الجبار. ولأننا كنا أطفالا نعرف يقينا أن لا أحد يرى ما يعتمل في نفوسنا،

فقد أدركنا على الفور أن الجانب الملون المسيطر لهؤلاء الناس الذي لا يمكن لعين أن تخطئه، ليس هو الإهاب الإنساني المتفسخ الذي على الأغلب قضوا أغلب أوقاتهم فيه، يوما بعد يوم، مثلما يقضي أي إنسان عقوبة بالسجن. إن الأمر الذي عنى للأطفال حقيقة الأمل في ماهية ما يمكن أن يصبحوه يوما ما، هو ذاته ما يعني لقراء الكوميكس من البالغين بشكل عام تشبيها بليغا لما تستشعره ذات الإنسان الحديث: فحيث إن كينونتهم الظاهرة قانونية وسياسية، لم يعد ثمة شئ مميز "على نحو خاص"، فالميلاد لا يضيف عليهم أهمية مثلما كان حال النبلاء في عصور ما قبل الحداثة (والتي لا تزال شعاراتهم حية في العلامات التي يستخدمها الأبطال الخارقون مثل حرف «S» الكبير المميز لسوبرمان، أو أيقونة الوطواط) ولهذا يتعين عليهم الاهتمام أكثر بحياتهم الداخلية الثرية. وبهذا المعنى يمكن أن نعتبر أن "بيتراركا" في القرن الرابع عشر هو البطل الخارق الأول لأن مؤلف ملحمة «Secretum Meum» قد طور في هذا العمل رؤية أن الشخص العادي الذي لا يقول شيئا، يمكن أن يكون مجرد إهاب لشئ فظيع (الشاعر خارق، أو فيلسوف خارق مثلا)، ولقد ظلت بقايا النرجسية المتواترة على المستوى النفسي العميق عبر عصور الحداثة وما بعد الحداثة مؤثرة جدا حتى يومنا هذا، وتضع الإنسان عموما، لا الأطفال فقط، أمام محنة المساواة الشكلية بين الكيانات العادية الحديثة.

لقد كنا حقا أطفالا ماهرين نستطيع أن نوول شيئا من مظهره، وكان على الآخرين أن يخمنوا من نحن في الحقيقة أسفل أقنعتنا البشرية. كان الواحد منا يدس سكيننا للجيب، ودفترنا صغير تصنعه بيليكان وتبيعه بمارك واحد، وعدسة مكبرة، وقلميّ حبر في كنانر البنطلون، وذلك لأن باتمان كان لديه حزاما متعدد الاستخدامات، يضع فيه المواد المتفجرة وبودرة الكشف عن بصمات الأصابع وطائرة هيليكوبتر قابلة للطّي. وإن ادعى أحد الأطفال أن "تور" أقوى من "الرجل الأخضر"² كانت تنشب مشاجرة أكثر سخونة من أي مشاجرة سنتشب لاحقا بسبب الموقف السياسي.

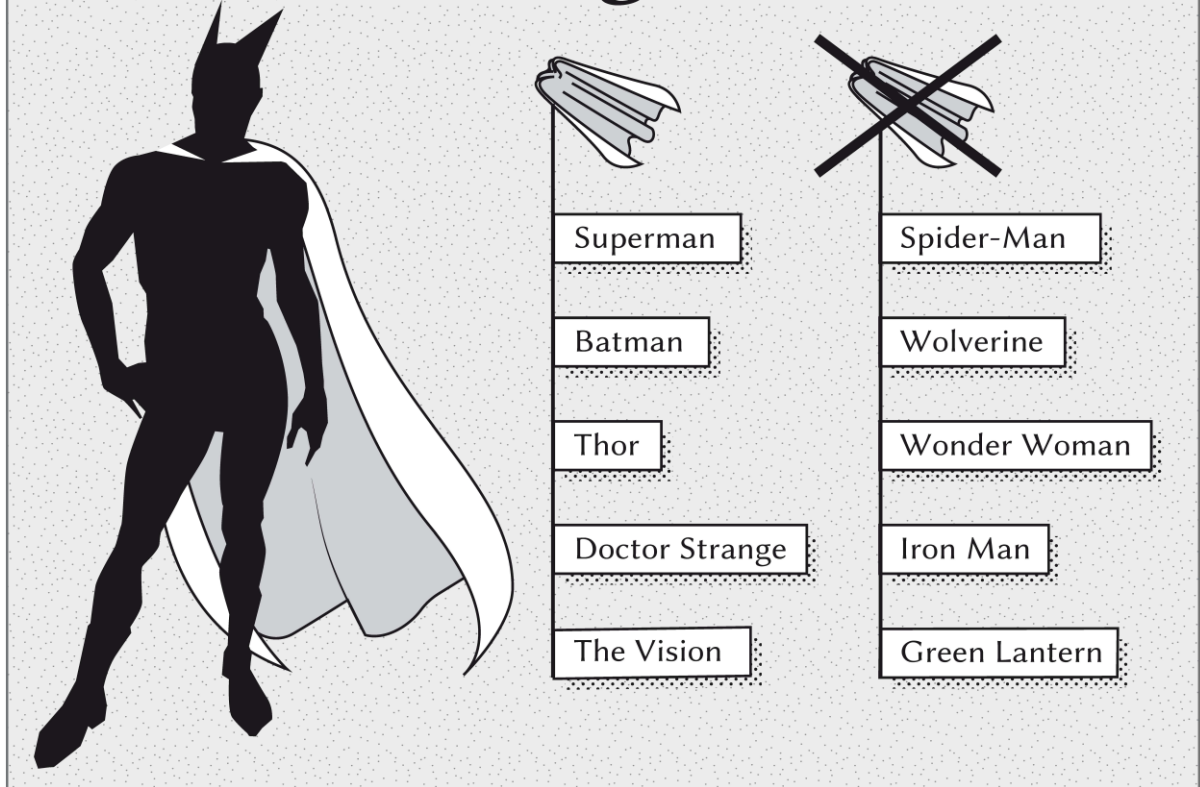
وإذا ما أراد الكبار أن يعرفوا السبب أننا لا نسعد بصورة مجمعة لفريق كرة القدم، وإنما نفضل صرف مصروفنا على سوبرمان وباتمان، ثم سنفضل صرفه لاحقا على كل ما يحمل اسم

² يعرف في الوطن العربي أيضا باسم "العلاق الأخضر" أو "هولك". (المترجمة).

"مارفيل" كان علينا أن نعلّمهم كيف يتعين على المرء أن يقرأ الكوميكس على نحو صحيح، فنقول: عليك أن تبدأ هنا على هذه الرقعة الكبيرة من أعلى اليسار ثم تتحرك قُطريا نحو الجنوب الشرقي، لا، لا تتحرك نحو اليمين ببساطة، بل قد يتعين عليك أن تقلب الصفحة المقابلة فالمقصود أن تقرأها بشكل عرضي.

لقد زاد الرسام نيل آدامز من صعوبة قراءة الكوميكس على الهواة بسبب شغفه المتأصل بتغيير شكل الصفحة بدافع التجريب ليس إلا. ولقد سمعت اليوم، بأني أولي كثيرا من الاحترام للفنانات والفنانين الذين يرون قيمة كبرى في عملهم المرتكز على إعادة تركيب الصور لدرجة صرف الانتباه، وبأنني رغم ذلك أعرف دائما أين أقف من الحكاية وإلامّ ستصير الأمور بعد ذلك (مهما بدا الحكي نابعا من الجنون وليس من شخبطات مجردة في عمل من أعمال ديف سيمز على سبيل المثال الذي يعد تلميذا مخلصا من تلاميذ مدرسة نيل آدامز) وذلك لأنني تدرّبت منذ السبعينات حين كنت طفلا على رؤية أعمال نيل آدامز.

Die Handtuchfrage: _____ _____ Umhang oder nicht?



[شكل صفحة]

لا يرتدي	يرتدي
سبايدرمان	سوبرمان
ولفرين	باتمان
المرأة الخارقة	تور
الرجل الحديدي	دكتور سترينج
الفانوس الأخضر	فيجن (الروئية)

زرت الولايات المتحدة لأول مرة في صيف 1982. ومن حسن طالعي وحسن حظ إنجليزية المبتدئين التي كنت أتحدث بها فلقد وجدنا أنفسنا في الوقت المناسب والمكان المناسب: إذ كان كريس كليرمونت المؤلف الرائد لسلسلة رجال-إكس الخارقين على رأس حملة دعائية لإعادة

تقييم كل القيم التي تسود ذلك الكون الذي تعيش فيه مجموعة المتحولين الذين يحمون عالما يهابهم ويكرههم.



[صورة صفحة]

السيد صاحب رجال-إكس كريس كليرمونت المولود عام 1950 في جامعة كولومبيا عام 2014.

وكان كريس كليرمونت في العام السابق قد صدم المعجبين بحقيقة أن واحدا من الغرماء الخطيرين للبروفيسور النبيل شارل خافيير، سيد المغناطيسية ماجنيتو، العدو المتعصب ضد البشر، لم يقرر أن يخوض حربه ضد الإنسانية فقط ليرضي مزاجه وأهوائه. وإنما لأننا نحن،

المنتمون لفصيلة البشر، كنا بحسب قصص كليرمونت، نعرض المتحولين إلى التمييز العنصري ونضطهدهم. ولهذا السبب وحده فقد تحول ماجنيتو إلى إرهابي. لأنه قد اضطر أن يشهد بنفسه كيف أن مجتمعا ينتمي إليه يستبعده ويقهره ثم يهدد أخيرا باقتلاعه. ماجنيتو إذن، إريك ماجنوس لينزهير، هو عند كليرمونت أحد الناجين من آلة القتل التي ابتدعها النازيون.

لقد أتى هذا الكشف بمثابة ضربة قاصمة موجهة ضد القناعة الأخلاقية الضيقة بأن الأشرار هم أشرار من البداية وبالفطرة وأن الطيبين هم طيبون بالضرورة بنفس الطريقة. ثم إن هذه الضربة لم تكن الأخيرة من نوعها – فسرعان ما بدأت القصص تحكي للمعجبين الناشئين أن معاناة الشرير من الظلم الذي تعرض له تسير بالتوازي مع كونه بطلا قادرا على الإخلال بمفاهيمه الخاصة حول العدالة. ولهذا رأينا أنه وعلى وجه الخصوص متعقب المجرمين المحترم باتمان قد تحول في قصة فرانك ميللر (الفارس الأسود يعود) عام 1986 إلى مريض نفسي مستبد، بينما ودعنا شخصية سوبرمان في سبتمبر من العام نفسه على يد آلان مور في قصة (ما الذي حدث لرجل الغد) وبها ختم تاريخه الطويل الذي حفل بالدفاع المستمر عن الحقيقة والعدل والطريقة الأمريكية، بعدما كسر التزامه بالامتناع عن القتل، الأمر الذي كان قد اتخذ منه قانونا أساسيا ضمن مفهومه عن الشرف الذي اعتنقه لعقود سابقة.

مقارنة ما بين حصيلة المطاردات

عدد الأرواح التي حصدتها بالقتل المتعمد شخصية مطارد رجال العصابات "المعاقب/ The Punisher" التي ابتكرتها دار مارفيل منذ ظهورها الأول عام 1974 في الكوميكس والأفلام:
49 ألف تقريبا

عدد الأرواح التي حصدتها بالقتل المتعمد شخصية "سوبرمان" حتى قصة سوبرمان الأخيرة التي ألفها آلان مور ونشرها عام 1986 على هيئة سيناريو مستقبلي تحت عنوان (ماذا حدث لرجل المستقبل):

1

أما قصة رجال-إكس التي ابتكرها كليرمونت فكانت تحوي الكثير من عناصر التشويق التي لم تقتصر فقط على كسر الحبكة السردية الأخلاقية. إذ لم يكن فقط المحتوى الذي قدمه هذا الرجل وإنما الكيفية التي صور بها الشخصيات هي التي ساهمت في الاصطدام بما هو معتاد. كانت قصصه تحوي حوارات أكثر من القصص الأخرى. بل إن بعض الأعداد في بعض الشهور لم تكن تتضمن في منتصفها الصراعات ما بين الطيبين والأشرار وإنما علاقاتهم الخاصة وهمومهم وصدقاتهم ومشاعر الحب لديهم.

وفي أثناء القراءة خطر لي في ميامي أن هذه القصص تمت بصلة ليومي المعتاد كتلميذ ألماني بأكثر مما هو معتاد في القصص الأخرى: التصرفات الصببانية النابعة من الغيرة، التقلبات ما بين المزاج الرائق والإحساس بالانهزام، العصابات التي يتم تشكيلها من أفراد مختلفين، الإحساس بأن الكبار لا يفهمونا (الكفاح من أجل عالم يخشاهم ويكرههم)، التمرد ضد النظام... رجال- إكس لم يكونوا إلا نحن.

وبطبيعة الحال لم تفتني الاختلافات: لم يكن أحد منا يستطيع أن يطير، أو أن يخترق الجدران، أو أن يقرأ الأفكار، ولا أن يضرم النيران في الأشياء أو يجعلها تتجمد من الصقيع وفق إرادته. بيد أن التشابهات ما بين كيتي برايد التي اخترعها كليرمونت وشتيفاني الحقيقية، أو ما بين أورورو مونرو التي اخترعها كليرمونت وبين كلاوديا الحقيقية، أو ما بين روج التي اخترعها كليرمونت وكاترين الحقيقية كان لا يمكن بحال غض الطرف عنها- هذه بالتأكيد استنتاجات مقتضبة- لكنها رغم ذلك تقدح شرارة النقاش.

لقد تعلمت إذن لدى كليرمونت كيف أدرس التفاصيل الإنسانية الصغيرة تحت العدسة المكبرة التي عرضتها قصص الأبطال، ولهذا نجحت في نصوصي السردية الأولى في محاولة الزج بالناس الذين وجدتهم في محيطي في مغامرات من كل الأشكال والأنواع، بحيث تظهر جوانبهم الأفضل والأسوأ، كما كنت أعرف أيضا ما معنى أن ترسم شخصيات أصلا.

فالحكي عن البشر يقتضي أمرين: من ناحية الانتباه للملامح البسيطة التي يسهل إدراكها والتأثر بها. ومن ناحية أخرى لا بد من وجود خصيصة متميزة وفريدة. تعلمت أيضا أن الجوهر الحقيقي للشخصية يظهر بأوضح ما يكون تحت وابل الرصاص، وعلى خط النار، وفي الأزمات. أما الدرس الثاني الذي أدين به لكريس كليرمونت فيتمثل في رؤية أن المبالغة ليست ضرورية بقدر مناقشة الحقائق (خصوصا الاجتماعية والنفسية، أي الإنسانية)، وأن الأفضل هو العمل على تحسينها جذريا في مقابل النقل السطحي لما هو واقع فعلا.

فإذا ما أراد الإنسان أن يصور حقيقة نفسية أو اجتماعية، أي أنها من صنع الإنسان، وليست ببساطة مجرد حقيقة طبيعية، فإن ما يلعب الدور الرئيسي ليس فقط ماهية هؤلاء الناس وما يفعلون، وإنما وبالقدر نفسه، ما يتصورونه حيال ذلك: فأحيانا ما يشعر الإنسان بأنه يستطيع أن يطير، أو أن يقرأ أفكار الآخرين (خصوصا في الوقت الذي لا يريد فيه أن يفعل ذلك). أحيانا يشعر الإنسان كأنه مسافر، أو أنه يقف وسط أسنة اللهب، أو كأنه غير مرئي، أو ثقيل يزن أطنانا.

إن العدسات المكبرة للفن السيار (بوب آرت) تضاعف تصوير الانفعالات والأحاسيس والخيالات، وتعيد تشكيلها إلى أن تبدو وكأنها حقائق. بيد أن النكتة هنا هي: إنها حقائق بالفعل، غير أنها حقائق تقع فقط في الرأس، ولا تسمح بالقياس دون مكملات خارجية.

لكن هذا لا يعني بأي حال أنها لا تخضع للتقييم أو الحكم. فأنا على سبيل المثال لازلت أتذكر بوضوح كيف جلست مع أحد الأصدقاء في بداية التسعينات أمام بيت ريفي قديم في منطقة محيطية بفرايبورج، وبقينا طوال الليل نتسامر حول أفضل قصة ألفها كليرمونت في سلسلة رجال-إكس التقليدية، وما السبب في ذلك: هل هي "أسطورة العنقاء السوداء" لأن نهايتها حزينة للغاية؟ أم "حروب أزجارديان" بسبب خلفياتها العملاقة؟ أم "أيام مستقبل الماضي" لأن الأستاذ المتمرس قد أتقن صنع قصة خيال علمي؟ أو لعلها قصة "محاكمة ماجنيتو" بسبب السلسلة التي ضفر بها القصة المليئة بالحركة (الأكشن) مع قضايا العصر السياسية؟

وبالقرب من الساعة الثالثة فجرا كان الاثنان المتحاوران قد فقدوا كل حجج النقاش الموضوعي حول الملامح التقنية، أي البراعة الكتابية والتصوير البصري للمادة المطروحة، وبدأنا في

الحديث مثل المعجبين بكل بساطة: ولقد اكتشفنا أن كل منا، وبشكل مستقل تماما عن الآخر، كنا قبل عشر سنوات قد وقعنا في غرام كيتي برايد كشخصية كوميكس، وتساءلنا لم كان هذا ممكنا- وفي الأخير قال الصديق متعجبا: "لو أنها كانت شخصية في فيلم على الأقل لغدت المسألة مفهومة، ففي الفيلم أنت تقع في غرام الممثلة. لكن كيف تقع في غرام كيتي برايد بطلة الكوميكس التي لا تبدو حتى على صورة واحدة بحسب الفنان الذي يرسمها؟"

وبعد 20 سنة أخرى من هذه المحاوره جلست عام 2014 كنت أجلس في عرض خاص للصحفيين في فرانكفورت لأحد أفلام رجال-إكس وهو (المستقبل هو الماضي) من إخراج براين سينجر، ورأيت كيتي برايد ، بمعنى أنني رأيت إلين بيج في دور كيتي برايد، على شاشة العرض الفضية العملاقة وفكرت: نعم هذه هي.

بدا الأمر وكأنك تقابل شخصا من جديد قد كنت تعرفه جيدا في الماضي- إنه خليط فريد من التأثير والتوتر والغربة، يكاد يكون من المستحيل وصفه. لكن لعل مقالا يخرج عنه على غرار المقال الذي كتبه سيجموند فرويد عام 1936 تحت عنوان "اضطراب الذاكرة فوق قمة الأكروبوليس".

لكني لن أكتبه. فهذا الكتيب الصغير المائل بين أيديكم يحاول بدلا من ذلك أن يقدم ملامح خارجية لإجابة محتملة عن سؤال مرتبط بذلك: لماذا تعني هذه الأشياء قدرا عظيما لبعض الناس؟

ومن أجل الاقتراب من الإجابة فلا بد بالطبع من الإجابة عن سؤال آخر: ما هي هذه الأشياء أساسا؟

فمن يريد أن يعرفها ويفهمها حقا قد يجد الإجابة ميسرة إن بدأ بقراءة الكوميكس التي أتحدث عنها. أما من قرأها فعلا فأمل أن يجد معلومة هنا أو هناك لم يكن يعرفها من قبل في هذا الكتيب.

وماذا يقول سوبرمان دائما قبل أن يسلط شعاعا من عينيه على باب المدرعة؟

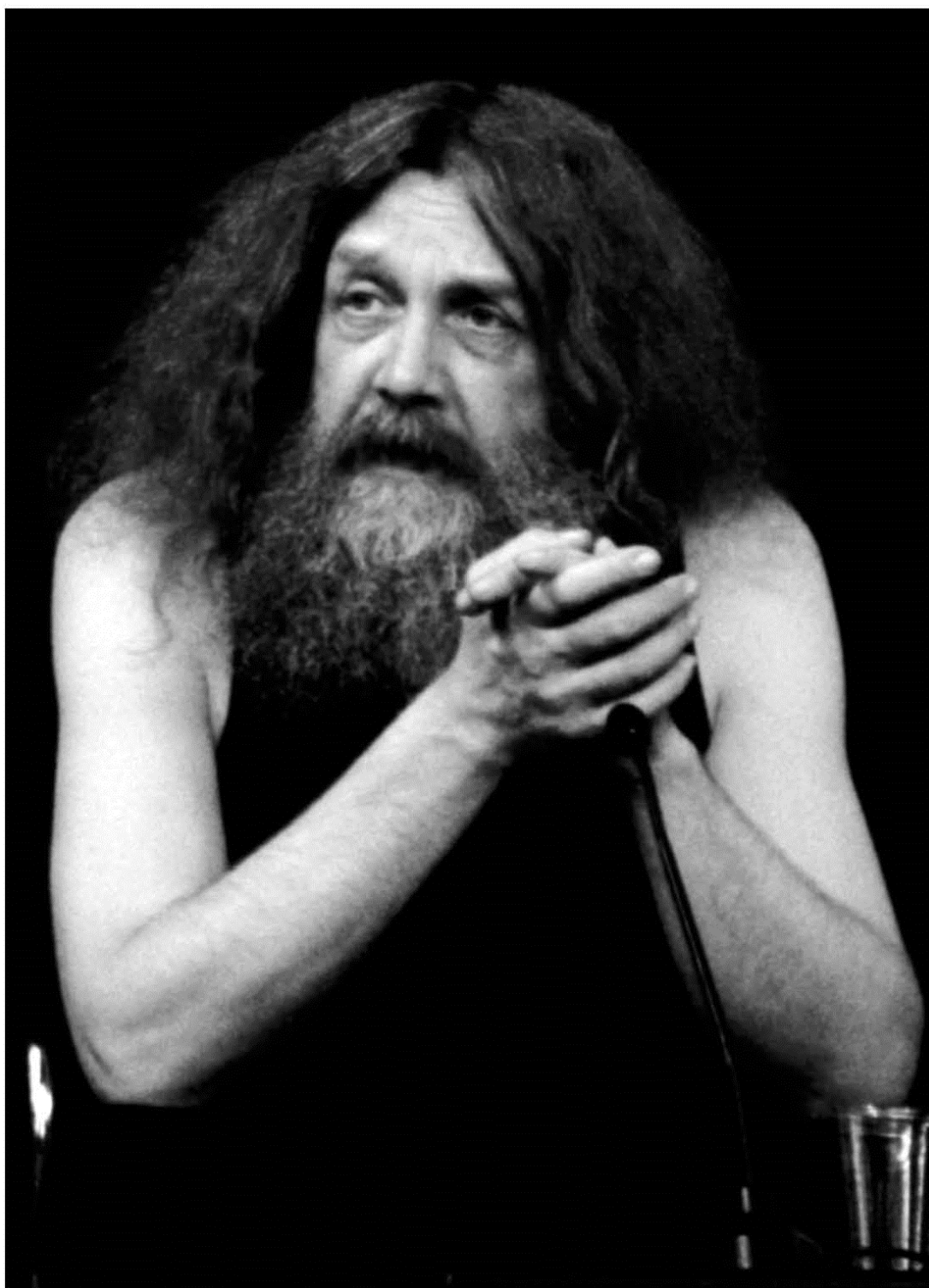
- "النرى!"

الجزء الأول: كيف صاروا إلى ما هم عليه

الحب عند الأبطال الخارقين

يصور المؤلف البريطاني آلان مور في العدد 53 من سلسلة الكوميكس الأمريكية، الذي نشر في أكتوبر 1986 تحت عنوان "ملحمة كائن المستنقع"³، مناقشة سياسية حول قابلية تطبيق القانون الجنائي المتعلق بالمسائل الجنسية المطبق في شمال أمريكا على الكائنات الخارقة، والذي يعد صارما ومربكا بالنسبة لمقاييس مور الأوروبية المتتورة. فمسائل الحب والشغف وما ينبغي مراعاته وما لا ينبغي تجاوزه حيالها تنظمها حتى يومنا هذا في الولايات المتحدة قوانين غير موحدة مما يصعب من استيعابها كلها: ففي مدينة واحدة تحت سيادة ولاية يمكن أن تمنع ما هو مسموح به في مدينة أخرى تابعة لولاية أخرى. وقد شرعت كثير من القوانين ذات الصلة قبل أكثر من 100 عام، ونادرا ما يتم تطبيقها، لكنها مناسبة دائما أن تلفت نظر وسائل الإعلام الحاشدة عن مدى تعقيد النظام القضائي الذي يشهد توترات وصراعات مريرة مابين حقوق الأقاليم التابعة والأخرى الأعلى الفيدرالية. لقد تناول مور الفروقات ما بين الشعور الذاتي بالعدالة، والقانون الوضعي المثبت كتابيا، والممارسات التي تطبق فعلا أمام القضاء على مختلف المستويات. فمن يريد أن يحكي قصصا عن الخير والشر، والعدل والظلم سيجد هنا ملعبا خصبا، غير أنه ملئ بالشراك والمخاطر.

³ العنوان الأصلي: Saga of the Swamp Thing



[صورة صفحة]

الأستاذ الكبير آلان مور المولود عام 1953 في معهد الفنون العصرية في يونيو
عام 2009.

في ملحمة كائن المستنقع يناقش مور إذن من المسموح لك بتقبيله ومطارحته الغرام. أما المشاركون في الحوار فهم "الفارس الأسود" باتمان وعمدة مدينة جوثام، التي يحميها باتمان من المجرمين الخطرين والمجانين الكثيرين المنتشرين بها، وأشهرهم هو عدوه اللدود الجوكر. وفي القصة التي نتحدث عنها لا يريد باتمان أن يعتقل صديقا آخرا ولا حتى أن ينتصر عليه. بل إن الفارس الأسود يعتبر أن ما يريده الصديق له ما يبرره. فقط الطريقة التي سينفذ بها ما يسعى إليه هو كل ما يرفضه الرجل الوطواط الذي يرتدي الكاب. وحين تتصاعد حدة الأحداث وتصبح المدينة على شفا الفوضى العارمة بسبب الهجمات الإرهابية، يحاول باتمان أخيرا أن يتوسط ما بين الإرهابيين وإدارة المدينة.

العدو هو "كائن المستنقع" الذي تحمل السلسلة اسمه عنوانا لها. وهو نوع من الأشباح الأولية، يجمع روح الغابة والمستنقع والأرض، مخلوق على هيئة جوليم⁴ من الخشب المتحرك والطحالب والنباتات المتسلقة والأوراق. هذا الكائن يحب في نسخة مور أنثى بشرية، هي الجميلة أبي كايل، التي تبادله حبا بحب.

ولأن كائن المستنقع ليس إنسانا فإن العلاقة بينهما تخضع للعقاب في ولاية لويزيانا موطن الشخصيات. التقط مصور إحدى صحف المنوعات صورة لهما وهما متعانقين ثم نشرها، الأمر الذي حدا المدعي العام إلى رفع قضية ضد أبي بسبب "خدش حياء الطبيعة". وحين ضحكت أبي غير مصدقة هذا الخطأ القضائي- إذ كيف يمكن أن يكون ضد الطبيعة أن يجتمع إنسان مع كائن من الطبيعة ذي روح؟- لكن اتضح أن ليس في ذلك حماية كافية لها: وبالفعل أُلقيت قليلة البصيرة في السجن، ثم أفرج عنها بكفالة لتهرب إلى جوثام (العاصمة المجهولة التي تسود فيها قيما أكثر انفتاحا).

وهناك يتم إلقاء القبض عليها بسبب التسكع، ويتم سجنها عدة مرات، ويقال لها إنها سيتم ترحيلها إلى بلدتها القميئة وفقا لمعاهدات ولوائح تقضي بذلك، حيث في الغالب ستضطر إلى

⁴ جوليم: لفظة من التراث الشعبي اليهودي تعني كائن برمائي يغلب على تكوينه الفخار أو الطين. يقول التلمود أن آدم قد خلق أولا بوصفه جوليم، ثم ميز عن تلك الكائنات بقدرته على الكلام. وردت اللفظة أيضا في الإنجيل في مزمو 136:16 بمعنى المادة الخام أو الجنين. دخلت اللفظة إلى الآداب الأوروبية القروسطية معبرة عن شخصية في الأدب والتصوف اليهودي هي مخلوق من الطمي يشبه الإنسان عظيم الحجم ويمتلك قوة مهولة، لا ينطق وينفذ الأوامر. (المترجمة)

المثول للمحاكمة من جديد وسيصدر بحقها حكما رادعا. وفي هذه اللحظة يعود كائن المستنقع من رحلة عمل طويلة (حيث كان بوصفه أحد أعضاء فريق جون كونستانتين، الساحر البريطاني المنتمي لطبقة العمال، في مهمة لمنع الشيطان، أكبر الخارقين على الإطلاق، من تدمير السماء).

وحينما يعرف شبح الأرض والغابة الأذى الذي تعرضت له حبيبته يبدأ في فعاليات عقابية ضد جوثام الآثمة: حيث يأمر النباتات المتوحشة فنتكاثر على الشوارع والميادين والمباني، كما يؤدي إزدهار نباتات جديدة إلى جذب طاعون جديد من الحشرات، وحين لا يتحرك رغم ذلك أسياد المدينة لإطلاق سراح أبي، يهدد شبح المستنقع أن يتسبب في كارثة طبيعية، ولأن كل النباتات تأتمر بأمره، فقد هدد أنه سيأمر البكتيريا النباتية التي تعيش داخل الإنسان أن تهاجم الأعضاء الحاضنة لها.

يدرك باتمان على العكس من رغبته، وهو الذي لا يستسلم عادة لمحاولات الإخضاع، أن عليه أن يسلم بتفوق غريمه بتلك القوى البيئية الكبيرة التي يمتلكها. إن لم يكن بدافع عسكري، فعلى الأقل بدافع من المسؤولية الأخلاقية: إذ أن فقط التدخل واسع النطاق بالسّم، وبالنيرون، وبالتدمير الشامل الذي سيأتي على الأخضر واليابس، هو ما يمكن أن يقضي على كائن المستنقع في هذه المرحلة.

ولأن باتمان لم يقسم على السمع والطاعة للقوى السياسية القائمة، وإنما يتصرف كسيد قراره، فإنه يستفتي قلبه وقانونه الذي يتعرضان للمحك في الحلقة كلها. ولهذا يقيم المسألة: أيهما له وزن أهم: قانون لويزيانا الجنائي المنظم للأمور الجنسية، أم مبدأ المساواة الذي ينص عليه دستور الولايات المتحدة الأمريكية؟ فهذا الدستور أمر مقدس لكنه يثير الجدل في عالم الأبطال الخارقين الذي خلقتهم دار نشر دي سي، مثلما هو مقدس ومثير للجدل في الواقع. بيد أن باتمان لا تعنيه السياسة. فهو مشغول بوضع مأزوم محدد يوضحه لعمدة جوثام: "إما أن تخطر ببالنا فكرة نحرر بها السيدة كابل تلك، أو نبدأ على الفور في إخلاء المدينة. ليس ثمة خيارات أخرى. فهذا الشيء بالخارج يتصرف وكأنه إله. وبإمكانه أن يسحقنا."

غير أن رجل البيروقراطية يتهرب قائلاً: "لكن.. لكن أنت لا تفهم. هذه السيدة أقامت علاقة مع شئ ليس إنسي! لا نستطيع أن نسمح باستثناءات من القانون...". فيرد باتمان: "لا استثناءات. أفهم. في هذه الحالة أقترح أن تجمع كل الكائنات غير البشرية التي تقيم علاقة خارج إطار فصيلتها".

يقول العمدة: "ماذا؟ ماذا تعني؟" فيوضح باتمان: "أعني الآتي: إن أردت أن تكون ثابتا على مبدئك عليك أن تفكر أن كل ما هو ليس بشري لا يقتصر على روح المستنقع. لنرى.. مثلا ربما تعتقل هوكرمان وميتامورفو، ثم ستارفاير من فريق التايتن. ففصيلتهم تطورت من شبيهات القطط فيما أظن.. وعلاوة على ذلك أيضا المريخي مانهانتر (صائد البشر). كذلك كابتن أتوم...."

تظهر الصورة كيف يغرق السياسي في عرقه بعد تعداد هذه الفصائل التي أنقذت البشرية من صعوبات جسيمة مرات كثيرة في عالم دي سي.

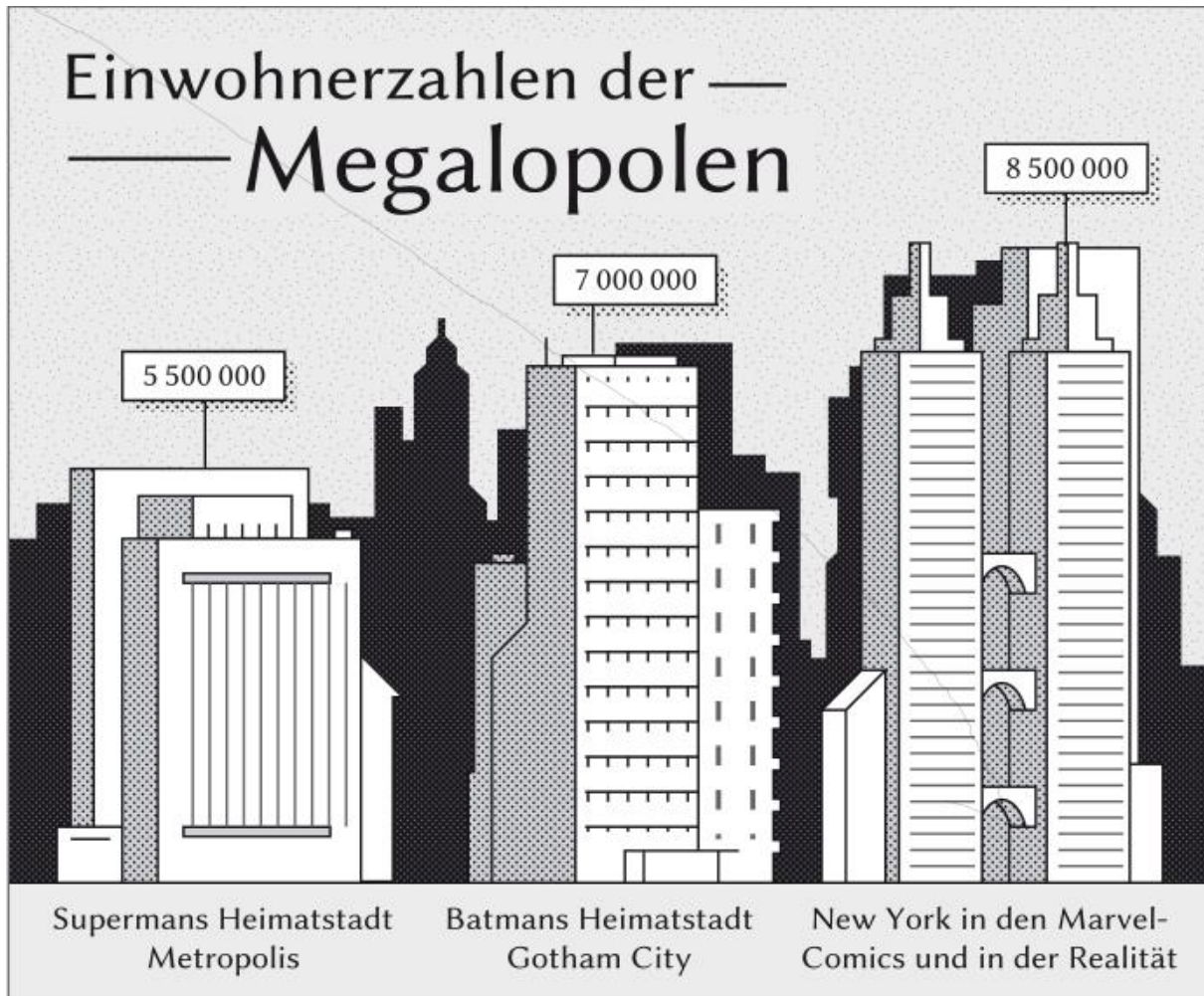
بعدها يطرح باتمان حجته الأقوى بشكل عرضي " يجب أن لا ننسى أيضا ذلك الذي- ما اسمه- كان اسمه على طرف لسانني- ذلك الذي يعيش في ميتروبوليس." وفي التو تسقط السيجارة من فم العمدة.

يعرف القراء الذين يمسكون العدد بأيديهم من هو المعني بذلك: إنه الشخصية الأولى والأهم والأعظم من بين شخصيات الخارقين سواء في الكوميكس أو الفيلم والتلفزيون وألعاب الفيديو أو قصص الملاحم النثرية. واسمه الذي يسكت عنه باتمان لا يؤكد سوى على مكانته الرفيعة: إنه سوبرمان.

ولقد فهم العمدة ما يعنيه. وعلى الفور يتصل بواشنطن ويسعى لكي يتم العفو عن أبي كابل. صحيح أن المشكلات التي تواجه هذين الحبيبين غير التقليديين لم تنته، لكن الآن مور قدم بهذه الالتفاتة الأنيقة الصغيرة حقيقة عميقة حول هذا الجنس الأدبي: هي أن الخارقين والخارقات ليسوا بشرا نحبهم "خدشا للطبيعة" وضد العقل وخبرة الحياة، وأنهم يبادلوننا هذه المحبة بلا

قيد أو شرط، وأنهم يرتكب باسمهم جرائم شنيعة، ويتعرض الناس لمعاناة الأهوال، وتدفع مجتمعات بكاملها دفعا لاختبار مبادئها العليا الأخلاقية الأساسية.

على أية حال ذلك هو الوضع على الورق وعلى الشاشات المختلفة وقطع الملابس والأزرار والحلي والوشوم- وفي ملايين الرؤوس.



[شكل صفحة]

أعداد سكان المدن الكبرى

(من اليسار):

متروبوليس مسقط رأس سوبرمان: 5.500.000

جوثام مسقط رأس باتمان: 7.000.000

نيويورك في كوميكس مارفيل وفي الحقيقة: 8.500.000

المستقع الذي أتوا منه

باتمان وسوبرمان هما البطلان الأكثر شعبية ويمثلان عمودي الرواج التجاري لدار نشر "دي سي". تجمعهما تسمية "أفضل من في العالم". لكن هما أكثر من ذلك. لأنهما الأقصى، هما طرفي طيف الأبطال الخارقين في المطلق: أحدهما باتمان الذي ولد كإنسان. وهو قد وصل إلى حدوده القصوى غير البشرية في الإنجاز والتحمل والمسؤولية الأخلاقية بفضل موهبته واجتهاده الذي بلغ حد الهوس.

أما الآخر سوبرمان فهو كائن غير أرضي يمتلك داخل إهابه البشري إمكانات نصف إله. ومنذ اللحظة التي يكتشفها فيها يجد نفسه أمام الاختيار إن كان سيساعدنا بها أو يضرنا، وهل سيعيرنا انتباهه من الأساس، وكيف سيتصرف حيال الخارقين الآخرين سواء كانوا خيرين أم أشرارا.

مخلوقة ذاتيا أم هابطة من السماء، مكتسبة أم مفروضة: بين هذين الطرفين تقع كل الكرامات والأعباء التي تميز الخارقات والخارقين "من مصنع الطبيعة" بحسب (شوبنهاور) عن جنس "الهومو سابينز"، الإنسان، الذي يهابه عن حق سائر الحيوانات، تمييزا جليًا.

بصراحة كذلك فإن الخارقين والخارقات، لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه بعد رحلة من تعزيز الذات اعتباطا. فلقد قتل والذي باتمان على يد مجرمين صغار. وهذا هو السبب الذي جعله لاحقا يطارد المجرمين الكبار. وكثير من زميلاته وزملائه يتصرفون وفق تربيتهم لأنفسهم ليصبحوا شخصيات عظيمة قادرة على الاستمرار في الحياة تحت ضغط اضطرار مشابه دفعهم للانتقام أو للتعامل الجيد أو السيء مع جراح جسدية أو روحية صفتهم بها يد القدر، مثل الشخصية التي ابتكرتها دار نشر دي سي: السهم الخارق جرين آرو (الذي صار يسمى آرو في التلفزيون) فقد اضطرته الظروف للعيش على جزيرة معادية للبشر بعد نجاته من تحطم سفينة، وكان عليه أن يطور ملكاته إلى ما فوق العادة. أيضا الشخصية الكئيبة التي ابتكرتها كوميكس دار مارفيل تحت اسم المعاقب (The Punisher). إنه جندي متقاعد من صفوة الجنود، يفقد زوجته وأطفاله في أثناء حرب بين عصابات المخدرات، فيهب حياته منذ تلك اللحظة إلى الأخذ بالثأر. وفي رحلة تطوره يبدأ بوصفه خارجا عن القانون (حتى أن ظهوره الأول في عالم مارفيل جاء على هيئة عدو للرجل العنكبوت) ثم يتحول إلى ما يشبه محارب ساموراي بلا سيد، إنها حالة استثنائية لرجل بمفرده، لكن المنهجية التي يتبعها تبالغ في إظهار عبثية الإجراءات التقليدية التي تتخذها سلطات حفظ الأمن- تماما وعلى نحو مشابه تظهر المبالغة في الرسم التشريحي للبطلات والأبطال الخارقين، من البنية العضلية لكلا الجنسين، إلى النهود والمؤخرات وبعض الملامح المحددة في وجوه السيدات. حيث يتم استغلال التصميم البيولوجي (مثلما الحال في الفن والدعاية) ثم تكبير النسب البشرية في الجاذبية وردود الأفعال.

عناوين الأبطال الخارقين

باتمان:

c/o Bruce Wayne

Wayne Manor

1007 Mountain Drive, Gotham

المنتقمون (Avengers):

Avengers Mansion
980 Fifth Avenue, New York

سوبرمان:

c/o Clark Kent
1938 Sullivan Place, Metropolis

الرائعون الأربعة (Fantastic Four):

Baxter Building
42nd St and Madison Avenue, New York